

تحبون الحرية؟

بقلم علياء رياض الصلح

تحبون الحرية؟

اعملوا اذن من قيمتها.

الحرية ليست الحبيبة المرجوة عندما يجور الدهر علينا والمهملة حين تبتسم الدنيا وتقبل. اي: عين عليها وعين على المنصب والمكسب. اي ان يهتف باسمها ويستصرخ كل نائب فاشل ووزير او رئيس سابق، وينسى وجودها عند عتبة الوزارات والصفقات.

الحرية ليست الجارة المسكينة التي ندعوها من باب جبر الخواطر عندما يخلو البيت من عذول او رقيب - فنتغنى بفضائلها وبأمجادها معنا وكأنه حديث القلب الحميم الذي لا يليق به ان يخرج عن دائرة الخصوصية - والمجالس امانات! الحرية ليست الأم الرؤوم التي تصبر امد العمر على رعونة اولادها واهاناتهم المتكررة لها في السر والعلن. واليوم جاء يوم غضبها وجاءت ساعة ثورتها وقررت الرحيل بعيداً عن لا يعرف كيف يحبها.

الحرية الى رحيل وها هم اعداؤها يتقدمون ليحلوا محلها.

ويا ويلنا، يا ويلنا من بعدها. ومن جور غيرها. كان هذا الغير يتأمر عليها وعلينا في ازقة الظلام ومنعطفات الظلم ويهدد. فأصبح يضرب ويسحل ويذمي الشباب في الشوارع وتحت عين الشمس. كان يطلق الشائعات فأصبح يدير الكاسيتات.

وان ثبتت تهمة التعامل مع اسرائيل على هذا الهندي فليعلق من رجليه ولتتهش جثته العقبان. ولكن الصورة التي رأيناها على التلفاز نهشت في صورة العدل في لبنان. العدل. ويحكم!

العدل آخر مأوى للمنسي والمظلوم وآخر فيصل بين الحلال والحرام. الجور ليس بحاجة الى برهان ولا الظلم يستند الى ادلة. فدعوا العدل جانباً، ولا تجعلوا من تشويبه برهاناً لمأرب ولا تمويهاً لخطأ ارتكبتموه بكبائر، الله وحده يعلم الى اي منقلب تصل. دعوا العدل واقفاً. وقد سقطت قبله هيبة التشريع بأساليب لم يعرف الوطن لها سابقة. وقد سقط الحكم قبل قبلها رافعاً الرايات البيضاء لقرارات اتخذت باسمه فبصم عليها وخضع. وحقوق الانسان سحلت في الشوارع وادميت.

وعليها جاءتنا اليوم شهادة حسن سلوك من الشقيقة لان التلميذ برع في اساليب المعلم. وعقبال الشهادة الكبرى. ربما يوم التخرج يسمح لنا الطيران بأجنحتنا. يا اهل لبنان، لقد أدارت الحرية ظهرها لنا. لقد بيئت منا وتركتنا نلعب ونلهو ونفاخر بها في طفولتنا معها. ثم صفحت عنا بعدما فتح كل منا دكاناً على حسابها نبيع ونشتري من رزقها. فتخاصم زبائننا وهدموا لنا بيتنا. وعفت عنا الحرية وبعثتنا من بين الاموات احياء يمارسون الحقوق ويعطون الآراء... وها نحن نعود فنخذلها.

يا اهل لبنان، الحرية راحلة. امسكوا باذيالها. استرحموها. استصرخوا حبكم لها ولا تخافوا ولا تخجلوا، فهي امننا وفيها دماء لبنان وماؤه وهوؤه. فيها رزقنا وشرفنا وفخرنا.

(النهار ٢٠٠١/٨/١٥)